المقتبس

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

كولريج

١٧٧٢ — ١٨٣٤

الغالب ان الشعراء في كل أمة يتقلبون مع الاهواء فلا يثبتون على حال في مناحيهم ومنازعهم. ومن يعشق الخيال ويهيم بالطبيعة فيخاطب السماك والاسماك، ويهيم بنجوم الارض كما يهيم بنجوم السماء، لا بدأن يقلبه الدهر كل مقلب، وتختلف عليه الاطوار والادوار كاختلاف الطبيعة بين صيف وشتاء وليل ونهار. وصاحب الترجمة ماخرج عن هذا الخلق وخروج الشاعر عنه يعدُّ من الغرائب ولا عبرة بالشذوذ. هو من شعراء الانكليز وفلاسفتهم رُبي يتيماً منذ نعومة أظفاره فبعث به أهله الى مدرسة متوسطة في لندن امتاز فيها بأخلاقه الساكنة وشعوره اللطيف وذوقه العجيب في علوم ماوراء

الطبيعة والفلسفة . دخل كلية كمبردج وغادرها بعد سنتين وبعد ان انضم الى سلك عصابة من سرية الدراغون سعى بعض أصحابه فاخرجوه منه

سافر الى مدينة برستول لاول أمره فاتحد وشاعرين شابين مثله (روبرت لوفل وسوتني) وزعموا انهم يريدون ان ينشئوا في ايلينوا من بلاد أميركا مستعمرة تكون أنموذج المستعمرات تحكمها قاعدة المساواة المطلقة والفضائل الاجتماعية كافة بيد انهم ماعتموا ان عشقوا ثلاث اخوات فتزوجوا بهن وعدلوا عن أفكارهم الخيالية وجمهوريتهم الكمالية وتفرقوا تحت كل كوكب فراح صاحب الترجمة يؤازر في إحدى الصحف الحرة بلندن موجهاً أبداً كلامه الى الامة ولذا حازت مقالاته اقبالا . ثم كتب رواية وكان نشر من قبل ديواناً من شعره وانشأ جريدة سياسية أسبوعية لم يصدر منها غير عشرة أعداد فذهب تعبه فيها سدى .

ثم عزفت نفسه عن السياسة واعتزل في احدى بقاع سويرستهير الجميلة وأخذ ينظم فيها أشعاره ويخلد لهذه المدرة بأقواله ذكراً لا يحمى على الدهر وانكب على العمل والدرس ايما انكباب وهناك الف أحسن قصائده الموشحات فنجحت كثيراً ولكنها لم تأته بربح يذكر . وزار المانيا وتمكن من إحكام آداب الالمانية ثم تقلبت به الاحوال فاعتزل واحد صاحبيه الاثنين المشار اليهما مدة ولم يلبث ان عاود المسائل السياسية والدينية فاصبح ملكياً وداعية الى التثليث على ما كان يميل اليه من الحرية المفرطة

تخلى عن الشعر منذ ذاك العهد وانشأ ينشيء في جريدة مورننج پوست مقالات يجادل بها خصومه أشد جدال في معنى الثورة مما دل على فكر متقلقل يذهب مذاهب الخيال بحسب الاحوال . وسعى أحد أصدقائه فانقذه من

تعادلي الازمون تلك العادة الخبيثة الشائعة في الشرق فخاصه بذلك من الجنون وجاءت المنية على الاثر فاختطفته دون ان يتم أعماله العلمية فعهد الى زوجه ان تنشرها بعده .

وكان نفوذ هذا الشاعر الحكيم قوياً في انكلترا لما عرف به من حب الحكمة وأثر عنه من الكتابات الدينية وجاء من حيث شعره مبشراً بالشاعر بيرون ومملياً على قلبه وروحه فقد استظهر بيرون قطعة صالحة من قصائده كانت له عوناً على الرسوخ في ملكة الشعر . يقول كتاب التراجم الناقدون لو كتب لكولريج ان يتخلى عن الدينيات والسياسيات لجاء منه اعظم شعراء عصره وكان احد الاحدين غير مدافع وذلك لما خص به من الاقتدار العقلي وسعة التعبير ولطف الاداء . قالوا وكان حديثه مطرباً في الغاية حتى ان احدى الحانات الغنية في لندن كانت تنقده مبلغا جسيما من المال ليحضر اليها ويتسامر وبعض المختلفين اليها . وشبهوا اعماله العلمية بقصر ناقص ترى كل ما فيه هائلا جميلا فخيما ولكن لا تشهد فيه شيئاً قد تم على أصله . وسبب ذلك تلونه في مشربه ومذهبه . والثبات على مبدإ من أقوى عوامل الانتفاع بالرجال .